المنار

١٣١٥

فتح باب الاجتهاد وسد باب التقليد

بقدرتنا الملكة من يشاء ومن يؤتنا الملكة نقدا وفيرا
جزاء كبيرا وبلاذكرا لاولي الالباب

نشر مبادي الدين بتمحيص القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الاثنين غرة المحرم سنة ١٣٢٣ — ٧ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥)

فاتحة السنة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، والصلاة والسلام على روح الإصلاح وإمام المصلحين ، الذي أرسله الله رحمةً للعالمين ، « لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » ، « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب ، واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض

تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون »

تلك آيات من الكتاب المبين ، يذكر بها المنار قراءه على رأس ثمان سنين ، ليتذكروا أن في الكون ظلمة ونورا ، وكلما خبيثا وكلما مأثورا ، وعملا سيئا وعملا مبرورا ، وأن للأمم حياة وموتا ، وأن في الناس مكرا وفتنا ، وأن للحياة دعوة يخاطب بها الأحياء ، وأن لها فتنة من قبل الكبراء والرؤساء ، وان العاقبة للمتقين ، وإن كانوا مستضعفين ، « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون * وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون »

ليتذكروا أن من يدعو الى الحياة فهو يدعو الى الاستقلال والمساواة ، ومن يدعو الى الحق فهو مقاوم للباطل ، وان أبغض الأشياء الى الرؤساء المستبدين استقلال الفكر ، والتساوي بين الناس في الحقوق ، وأبغض الناس الى الكبراء المترفين من يدعو الى نصرة الحق ومقاومة الباطل ، والى جعل التفاضل بين الناس بالأعمال والفضائل ، فالسادات المالون والكبراء المستكبرون ، أعداء المصلحين في كل زمان ، وخصماء الحق والفضيلة في كل مكان ، غرورا بالقوة وطغيانا بالغنى و « استكبارا في الارض ومكر السيء ، ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا * ولن تجد لسنة الله تحويلا * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض إنه كان عليما قديرا ،

ليتذكروا بهذه الآيات كلها أن الله تعالى بين للناس أن له سننا في حياة الأمم وموتها لا بد لمعرفتها بالتفصيل من الرجوع الى التاريخ الذي يبين مصداق آياته في الغابرين، ومن السير في الأرض لمعرفة تأويلها في الأولين والآخرين، وقد نطقت سير البشر بتصديق قوله تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وأنه ما وقع تغيير الا بدعوة وأن دعاة الخير والاصلاح في كل أمة كانوا ممقوتين من أصحاب السلطة، ومضطهدين من رؤساء الأمة اولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام ابي حنيفة حتى مات في السجن، وجلدوا الامام مالكا وألزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة، واضطروا الامام الشافعي الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه، ووطئوا الامام أحمد بالنعال، وما زالوا من تلك العصور يفتنون أهل العلم والتقوى، حتى تم لهم بطول الزمان إفساد الدين والدنيا، « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

واذا تذكروا أن انتقال الامم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين، ولا يأتي باختيار الأمراء والسلاطين، وانما يكون بتغيير أفراد الامة ما بأنفسهم من الافكار والعقائد والاخلاق والسجايا - وتذكروا أن المسلمين غيروا ما كان بأنفسهم في أول نشأتهم بالتدريج فغير الله ما كان بهم من عزة العلم والقوة، وسيادة العدل والفضيلة، ولن يغير ما هم الآن فيه، الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه، وشرطه قلع جراثيم التقليد، واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب، وأساسه جمع كلمة الأمة، وتحقيق معنى الوحدة، - فأنا أدعوهم الى الاصلاح الديني قبل كل شيء لانه يتوقف عليه كل شيء فانه لا يصلح آخر هذه الامة الا ما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن

أنس رحمه الله تعالى . صلح أول هذه الامة بهدي كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهداهم ذلك الى كل إصلاح صوري ومعنوي « أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون »

أدعوهم الى هذا الاصلاح بهذه الجملة وأدعوهم الى الدعوة إليها والى ماتدعو اليه ما أصابت ، والى بيان خطأها فيها اذا رأوها أخطأت أدعوهم الى قطع الآمال من السياسة والسياسيين ، والى ترك الغرور بالرؤساء والملاكين ، وعدم السماع لأتباعهم ، والانخداع لانصارهم وأشياعهم ، لئلا يصرفوكم عن الجد باصلاح النفس ، الى الهذل بارضاء الحس ، فانهم طلاب مال وجاه ، طلاب رتبة ووسام ، أصحاب أوهام ، وشقشقة ألسنة واقلام ، « ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم * ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم »

أدعوهم الى الدعوة معي الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين ، في بلاد أبيح فيها القول للقائلين ، وسهل فيها النشر على الكاتبين ، وأطلقت فيها حرية العلم والدين ، فصرح فيها الملحد بإلحاده ، وجاهر فيها الفاسق بفسقه ، ودعا فيها الكافر الى كفره ، ونشرت فيها الكتب والجرائد تطعن في القرآن ، وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة إسلامية ترد شبهات الطاعنين ، وتؤيد العقائد بالحجج والبراهين ، وتبين حكم الاحكام ، وانطباقها على مصالح البشر في كل زمان ومكان ، وتأمر بالعرف والبر ، وتنهى عن البدعة والنكر ، حتى اذا أنشىء المنار وقام بهذه الفرائض نقم منه بعض المسلمين في بلاد الحرية ، وانتقم بعضهم من عشيرته في بلاد العبودية ، نقم منه المتجرون بالدين ، ومقلدة المبتدعين و « الذين يخلطون الدين

بغيره ، ويظنون أو يزعمون انهم أئمة أهله » (*) هاج عليه أهل المذاهب المتعصبون، لأنه يقول ان الوهابية السلفية والاشاعرة والماتريدية والشيعة والاباضية كلهم مسلمون ، وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيما هم فيه يختلفون ، «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»

دعوت الى هذا منذ بضع سنين، وسأدعو اليه ان شاء الله حتى يأتيني اليقين، وقد عارض الدعوة قوم أكثرهم معذور بالجهل ، ثم استهدفت بعد

(*) هذه العبارة الجريدة المؤيد من تقريظها للمنار وقد رأينا أن ننشر ذلك التقريظ هنا لانه في معنى هذه الفاتحة وقد نشر في العدد ٣٦٣٧ من المؤيد الاغر الصادر في ١٩ المحرم سنة ١٣٢٠ ونصه: «صدر العدد الأول للسنة الخامسة من مجلة « المنار » الغراء وهي المجلة العلمية الدينية التهذيبية الاسلامية الوحيدة في القطر المصري لحضرة صاحبها ..... السيد محمد رشيد رضا الطرابلسي ، وقد قضى حضرته اربع سنوات يصدر هذه المجلة مثابرا على الخدمة الملية الصحيحة ، محاربا البدع المضللة ، بالحكم المدللة ، والهوى بالعقل ، والاوهام الفاشيات على الأفهام ، بالآيات البينات من الكلام ، بمثل الاصلاح الديني جهد المستطيع ، وهو والحق يقال مستطيع فيما يجهد به نفسه ، بارز المبتدعين غير هياب ، ويعتمد في اجرائه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة والكتاب ، ولذلك كان كلامه مرا على اذواق الذين يخلطون الدين بغيره ، ويظنون أو يزعمون انهم أئمة أهله ، يشتد كلما اعتقد الحق في جانبه وفي اعتقادنا انه لو كان أخف اسلوبا في الوطأة ، وألين جانبا في المقال ، من حيث لا يحيد عنة أو يسرة عن خطته الحالية ولا يضيع شيئاً من غرضه الذي يسعى اليه لكان « المنار » اضعاف ما هو اليوم انتشارا واكثر فائدة ، واعم عائدة ، وكل مسلم يشعر بحاجة الاصلاح الديني للأمة المحمدية يتمنى من صميم فؤاده أن يكون لكل قطر من الاقطار الاسلامية منار مثل هذا « المنار » له من الانتشار أضعاف ما لهذا من الظهور والانتشار ، وفق الله صاحبه الفاضل دائما الى طريق السداد ، وانجح عمله دائما بالتوفيق والرشاد ، آمين » اه

التمكن والانتشار لنضال قوم أضلهم الله على علم ، يخذلون الحق لأنهم على باطل ، وينفرون من الهداية لأنهم على ضلالة ، وانك لتراهم من وراء الجدار ، وتستشفهم من خلال السجوف والاستار ، يكيدون ويأتمرون ، ويوسوسون ويهمسون ، ويستفتون ويفتون ، « والله يعلم ما يسرون وما يعلنون » على انهم هم الذين يفشون أسرارهم ، ويكشفون عوارهم ، فهم كمن نزل فيهم « لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم » ـ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون »

لماذا لا يعارضون المعترضين على دينهم ؟ لماذا لا يناهضون الطاعنين في كتابهم ؟ لماذا لا يعادون المعادين على حقيقتهم ؟ لماذا لا يخرجون الخارجين على أمتهم ؟ لماذا لا يفتنون الفاتنين لعامتهم ؟ لماذا لا يهاجمون المتهجمين على خاصتهم ؟ لماذا خفت عليهم دعوة كل ملة ، وثقلت عليهم الدعوة الى الكتاب والسنة ؟ ماذاك الا ان قوة الحق ترهب المبطلين ، ونور الرشاد يعشي أبصار الغاوين ، وأما الباطل فانه يعد بعضه بعضا وان اختلفت الوانه ، وتشعبت أفنانه ، « والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون »

انما يغرهؤلاء وأمثالهم تلك الكلمة المشهورة « القوة تغلب الحق » وهي كلمة لا تصدق على الاطلاق ، وليس هذا موضع بيان ما فيها من الاجمال ، وانما نقول ليست القوة محصورة في المال والجاه ، ولا في السلطة والحكم ، ولا بكثرة الاعوان والانصار فان في العالم قوى حسية وقوى معنوية ، كقوة

الاعتقاد وقوة الشعور وقوة العلم وقوة الاتحاد وقوة العدل وقوة الفضيلة وقوة الطاعة وقوة الحق . فكم من ملك كبير ، يتضاءل امام مملوك فقير ، لانه يشعر بضعف الرذيلة امام الفضيلة وبذل الباطل تجاه الحق ، وهذا قيصر روسيا الملك المستبد القاهر قد أصبح كالمسجون في قصره على ماله من السلطة السياسية والدينية ، وقد مزق عمه كل ممزق ثم مزقت صورته هو إشارة الى نية الايقاع به ، أنسوا التاريخ وما فيه من السير ، التي هي منابع العبر ، كلا إن الباطل لا يقف أمام الحق اذا وجد الحق ناصرا وصادف الناصر حرية « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

ان للحقائق رجالا كما ان للاوهام رجالا ، ان للدين أنصارا كما ان للدنيا أنصارا ، إن الدين من حاجات البشر الطبيعية ، وقوة من أعظم قواتهم المعنوية ، ان الضعيف في الدين لا يستطيع الزعامة فيه ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ان الأحرار يميلون للشيء بقدر إحساسهم بالحاجة اليه ، وعلى حسب اعتقادهم بالفائدة منه ، ان الاعتقاد في الامة قوة لا تغالب ، والاحساس الوجداني فيها ثروة لا تنفد ، ان لوم المحبين مدعاة الاغراء ، ومقاومة المعتقدين داعية التمكن والثبات ، ان المخلص في عمله يفيده ظهور خطأه كما يفيده ظهور صوابه ، لان كلا منهما يزيده يقينا فيما يرغب فيه عنه ، ان الله تعالى وعد بنصر من ينصر الدين ، وجعل العاقبة للمتقين ، « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ـ الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور »

يقولون إن الاحساس بالحاجة الى الاصلاح الديني ضعيف ، وإن عدد المعتقدين بوجوب اتباع السلف قليل ، وان الدعوة هنا الى الرابطة

الملية ، معارضة بالدعوة الى الوطنية ، : ونقول ان كل إصلاح فى الكون بدأ بضعف وانتهى بقوة زلزلت جميع المعارضين و « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » وما بلغو به احداث العصر ، من وجوب مقاومة من يهاجر الى مصر ، فهو مخالف لسنة الكون فى الامم الحية وتعوز نجاحه القدرة على جميع العناصر الاجنبية ، وأما دعوتنا هذه الاسلامية ، فهي هي التي تأتي بالنهضة الوطنية ، لانها تهدم التقاليد التي فرقت بين الناس ، وألقت العداوة والبغضاء بين أهل الملل والمذاهب والاجناس ، فكما تذكر المسلمين بقوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » تذكرهم أيضا بقوله فى المخالفين « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »

وجملة القول ان دعوتنا هذه دعوة عامة معروضة في صحيفتنا كما يعرض غيرها من الدعوات السياسية والأدبية وفى اعتقادنا أنها خير دعوة أُلقيت للناس وإن من أسسها البعد عن مثارات الخلاف والشقاق ، ونشهد الله تعالى أنه ليس فى قلبنا حرج على أحد من الناس وقد صفحنا عمن ظلمنا ، وعفونا عمن اعتدى علينا « ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » واننا نحمد الله ونشكره أن أعطانا فوق ما كنا نرجو ، ثم نشكر أصحاب القلوب الطاهرة والافكار النيرة الذين تنتشر بهم الدعوة وتنمو ، « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا